تمهيد

حيث أن البحث الذى بين أيدينا يتناول قضية النسخ ، أى أنه يتناول العلاقة الموجودة بين الشريعة السابقة والشريعة اللاحقة ، وحيث أن الشريعة هى الدين الذى شرعه الله لعباده ، وأن الدين عند الله الإسلام ، وحيث أن هناك خلافات بين مؤيدى النسخ وبين معارضيه ، ولكى نستبين حقيقة هذا الموضوع ، علينا أن نتعرف على بعض الكلمات التى هى أساسيات الدين ، مثل : الدين ، الإسلام ، العبادة ، الشريعة ، العقيدة .

ما هو الدين

[سُئل بعض السلف عن علىّ بن أبى طالب ، عليه السلام ، فقال : كان ديَّانُ هذه الأمة بعد نبيِّها : أى قاضيها وحاكمها .

والديَّان : القهار ، وقيل الحاكم والقاضى ، وهو فعَّال ، من دان الناس : أى قهرهم على الطاعة .

يقال : دنتهم فدانوا ، أى قهرتهم فأطاعوا .

وقال ابن الآعرابى : دنتُ وأنا أدين : إذا أخذت دَيْناً .

والدين : الجزاء والمكافأة ، ودِنْتُه بفعله دَيْناً : جزيْتُه .

وفى المَثَل : اعمل ما شئت كما تدين تُدان ، أى كما تُجازى تُجازَى ، أى تجازَى بفعلك ، وبحسب ما عملت ، وقيل كما تفعل ، يُفعل بك .

وقوله تعالى : (إنا لمدينون) أى مجزيون محاسبون .

وفى حديث سلْمان : إن الله ليدين للجمَّاء من ذات القرن : أى يقتص ويجزى .

والدين : الجزاء ، والدين الحساب ، ومنه قوله تعالى (مالك يوم الدين) والدين : الإسلام ، والدين : ما يتدين به الرجل [1] .

---

(١) لسان العرب ، مادة : دين .

ومما سبق يتبين لنا أن الدين هو مجموعة القواعد والقوانين التى تكوِّن المعيار أو الميزان الذى به يتعامل الناس فيما بينهم فى الأخذ والعطاء والحكم والقضاء . أى أن الدين هو القاضى أو الحاكم الذى يحكم بين الناس والقاضى الذى يقضى بينهم فى أخذهم وعطائهم بين بعضهم لكى يتحقق بينهم الحق والعدل .

وفى الحديث : الدين المعاملة . أى القضاء والجزاء والحساب فيما بين الناس من أخذ وعطاء .

إذاً ، الدين فى الإسلام هو مجموعة الشرائع التى شرعها الله لعباده لكى يتعاملوا بها ، فيتقاضون ويتحاكمون به فيما بينهم فى الدنيا ، وفى الآخرة يعودون إلى الله الديَّان فيقتص الله من الظالم للمظلوم ، ويقتص لذاته من المنحرفين الذين انحرفوا عن شريعته .

ما هى العبادة

[العبادة : الطاعة

وفى قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ أى نطيع الطاعة التى يخضَع معها .

ومعنى العبادة فى اللغة : الطاعة مع الخضوع] [1] .

فالعبادة هى طاعة الخالق فى كل ما أمر به ، وفى كل ما نهى عنه .

ويقول ابن تيمية [العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة . فالصلاة والزكاة والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة ، وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله ، والإنابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضاء بقضائه ، والتوكل عليه والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك ، من العبادات لله] [2] .

---

(١) لسان العرب ، مادة : عبد .

(٢) مفهوم العبودية فى الإسلام - ابن تيمية صـ ١ .

فما هى العلاقة بين الدين وبين العبادة ؟

وجدنا - فيما سبق - أن الدين هو مجموعة القواعد والقوانين التى تكوِّن المعيار أو الميزان الذى يتعامل به الناس فيما بينهم فى الأخذ والعطاء والحكم والقضاء . وأن الدين هو مجموعة الشرائع التى شرعها الله لعباده . فالعلاقة بين العبادة والدين ، أن العابد يكون مطيعاً خاضعاً لله ، آخذاً بدينه ، مُنفذاً لشريعته .

ما هى العقيدة

[العقيدة : نقيض الحلِّ

والعقد : العهد : ومنه عقدة النكاح

وعقد العهد واليمين ، يعقدهما عقداً ، وعقَّدهما : أكدهما ، كقوله تعالى : (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) فى الحلف .

وفى حديث ابن عباس ، فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) قيل : العهود، وقيل : هى الفرائض التى أُلزموها .

قال الزجاج : (أوفوا بالعقود) خاطب الله المؤمنين بالوفاء بالعقود التى عقدها الله تعالى عليهم ، والعقود التى يعقدها بعضهم على بعض ، على ما يوجبه الدين] [(١)] .

وفى الحديث (اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى ، وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت) أى وأنا على عهد الإسلام .

[والعقيدة : هى مجموعة من قضايا الحق البديهية المسلَّمة بالعقل والسمع والفطرة ، يعقد عليها الإنسان قلبه ، ويثنى عليه صدره ، جازماً بصحتها ، قاطعاً بوجوبها وثبوتها] [(٢)] .

---

(١) لسان العرب ، مادة : عقد .

(٢) حقيقة الإيمان حـ ١ – صـ ٧ .

فالعقيدة ، هى ما ينعقد عليه قلب الإنسان معتقداً بصحته ، مؤمناً بحقانيته . [ولقد اتفق علماء المقابلة بين الأديان على تأصل العقيدة الدينية فى طبائع بنى الإنسان من أقدم أزمنة التاريخ ، ففى الطبع الإنسانى جوع إلى الإعتقاد] (١) .

[وإن الأديان ضرورية للبشرية وفطرية بها . هذه حقيقة تاريخية وفكرية ودينية ايضاً ، فكل إنسان له دين ، والذين ينكرون الأديان ولا يؤمنون بأى دين منها ، ويحاربون كل الأديان ، لهم دين جديد ، هو ألا يكون لهم دين ، ذلك دينهم ، وتلك عقيدتهم التى يؤمنون بها] (٢) .

فالإنسان بطبيعته متدين . فالتدين فطرة أو غريزة فى الإنسان ، ويرجع ذلك إلى شعور الإنسان بالضعف تجاه هذا العالم العظيم المهول ، وكذلك يرجع التدين او الإعتقاد إلى المهول ما يراه الإنسان من وجوب اتخاذ مجموعة من المبادئ والإعتقادات تجاه قضايا حياتية تُحدد اتجاهه وتميزه عن باقى الإتجاهات . هذه المبادئ والإعتقادات هى محتويات العقيدة .

أما محتويات العقيدة فى الإسلام فإنها [تشتمل بإيجاز على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره] (٣) .

والعقيدة هى الجانب النظرى الذى يُطلب الإيمان به أولاً وقبل كل شىء إيماناً لا يرقى إليه شك ، ولا تؤثر فيه شبهة ...

وقد عبر القرآن عن العقيدة (بالإيمان) وعن الشريعة (بالعمل الصالح) ، وجاء ذلك فى كثير من آياته الصريحة مثل قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾ (الكهف :١٠٧) ، وقوله تعالى ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝ ﴾ (العصر)﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (الأحقاف :١٣) .

---

(١) الله - عباس العقاد - صـ ١٤ـ ١٥ .
(٢) النصرانية والإسلام - محمد عزت الطهطاوى - صـ ٣٠٧ .
(٣) حقيقة الإيمان - صـ ٨ .

والعقيدة هى أساس العمل ومرتكزه ، فأى عمل لا يرتكز على عقيدة فهو عمل بلا أساس ، إذْ أن النية تتجه إلى هذه العقيدة ، وعلى أساسها ينبثق العمل من القلب .

[فالعقيدة فى الوضع الإسلامى هى الأصل الذى تبنى عليه الشريعة ، والشريعة أثر تتبعه العقيدة ، ومن ثم فلا وجود للشريعة فى الإسلام إلا بوجود العقيدة ، كما لا اذدهار للشريعة إلا فى ظل العقيدة ، وذلك أن الشريعة بدون العقيدة ، علوٌّ ليس له أساس.] (١)

ما هى الشريعة ؟

فى لسان العرب [شرعت الدواب فى الماء ، تشرع شرعاً وشروعاً أى : دخلت .

والشرعة والشريعة فى كلام العرب : مَشْرعة الماء ، وهى مورد الشاربة التى يشرعها الناس ، يشربون منها ويستقون ... والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء عِدًّا لا انقطاع له ، ويكون ظاهراً معيناً .

والشريعة والشرعة ، وما سنَّ من الدين وأمر به كالصوم والصلاة والحج والزكاة ، وسائر أعمال البر ... ومنه قوله تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الأمر) وقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) ، قيل فى تفسيره : الشرعة : الدين ، والمنهاج : الطريق وقيل الشرعة والمنهاج جميعاً : الطريق والطريق ههنا : الدين .

وقال محمد بن يزيد : شرعة معناها إبتداء الطريق ، والمنهاج : الطريق المستقيم وقال ابن عباس : شرعة ومنهاجا : سبيلاً وسنةً .

وقال قتادة : شرعة ومنهاجاً : الدين واحد والشريعة مختلفة .

وقال الفراء فى قوله تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الأمر) على دين وملة ومنهاج وشرع الدين ، يشرعه شرعاً : سنَّهْ] (٢) .

مما سبق يتبين لنا أن العرب لا تسمى الماء بالبئر بالشريعة ، إلا إذا كان الماء غزيراً ، لا انقطاع له ، ويكون ظاهراً سهل التناول .

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة . د . محمود شلتوت . صـ ١١ .

(٢) لسان العرب ، مادة : شرع .

وإذا طبقنا هذا الوصف على شريعة الدين ، نجد أن المقصود منها أن تكون الشريعة غامرة لجميع نواحى الحياة ، ومجيبة على جميع أسئلة واستفهامات الناس ، وكذلك أن تكون واضحة بينة سهلة التنفيذ عند الآخذين بها ، وهذا كما قال تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) ، وكما قال تعالى (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) .

كما علينا أن نلاحظ مما سبق أيضاً ، أن الشريعة معناها ابتداء الطريق ، وإذا طبقنا هذا على الأعمال أو على الدين ، فتكون الشرعة هى ابتداء الأخذ بالدين أو ابتداء التشريع ، وليس تمامه أو كماله .

فالشريعة تأتى من الشروع فى العمل ، كما أقول : شَرعتُ فى كتابة الكتاب أى ابتداء الكتابة ، وليس إتمام الكتابة . فهناك فرق بسيط بين الشرعة والشريعة .

الشرعة هى ابتداء التشريع ، ابتداء الدين .

والشريعة هى تمام التشريع وكماله .

وبهذا الفهم ، نستطيع أن نوفق بين قوله تعالى ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (المائدة :٤٨) وبين قوله تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا ﴾ (الجاثية :١٨) .

فالشرعة التى جعلها الله لكل أمة من الأمم السابقة ، لم تكن هى ختام الدين الذى أراده الله للناس ، وإنما كانت بدايات فى التشريع . أما الشريعة فهى تمام الدين ، لذلك يقول تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة :٣) .

فهل هناك فرق بين الدين وبين الشريعة ؟

إذا عُدنا إلى سؤالنا : ما هو الدين ؟ وجدنا أن الدين فى الإسلام هو مجموعة الشرائع التى شرعها الله لعباده لكى يتعاملوا بها فيتقاضون ويتحاكمون به فيما بينهم . فلا فرق بين الدين وبين الشريعة .

ما هو الإسلام ؟

فى لسان العرب [سلم : السلام والسلامة : البراءة .

السلام : اسم الله تعالى لسلامته من العيب والنقص والإسلام والإستسلام : الإنقياد والإسلام من الشريعة : إظهار الخضوع وإظهار الشريعة والتزام ما أتى به النبى ﷺ .

ويقال : فلان مسلم ، وفيه قولان : أحدهما هو المستسلم لأمر الله ، والثانى هو المخلص لله العبادة ، من قولهم سلَّم الشىء لفلان : أى خلصه ، وسلم له الشئ : أى خلص له .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، قال الأزهرى : فمعناه أنه دخل فى باب السلامة حتى يسلم المؤمنون من بوائقه .

فالإسلام : إظهار الخضوع والقبول لما أتى به سيدنا رسول الله ﷺ وبه يُحقن الدم . فإن كان مع ذلك الإظهار ، إعتقاد وتصديق بالقلب ، فذلك الإيمان ، الذى هذه صفته . فأما من أظهر قبول الشريعة ، واستسلم لدفع المكروه ، فهو فى الظاهر مسلم ، وباطنه غير مصدق فذلك الذى يقول أسلمت ، لأن الإيمان لا بد من أن يكون صاحبه صِدِّيقاً ، لأن الإيمان : التصديق . فالمؤمن مبطن من التصديق مثل ما يظهر . والمسلم التام الإسلام، مظهر للطاعة مؤمن بها . وقوله تعالى : (يحكم بها النبيون الذين أسلموا) ، فسره ثعلب قال : كل نبى بُعث بالإسلام ، غير أن الشرائع تختلف .

وقوله عز وجل : (واجعلنا مسلمْين لك) أراد مخلصيْن لك .

وقوله عز وجل : (أُدخلوا فى السلم كافة) قال : عنى به الإسلام وشرائعه كلها] [1] .

فالإسلام معناه الخضوع والإنقياد للشريعة التى أتى بها محمد ﷺ .

[والإسلام هو دين الله الذى أوصى بتعاليمه فى أصوله وشرائعه إلى النبى ﷺ وكلفه بتبليغه إلى الناس كافة ودعوتهم إليه] [2] .

والإسلام يفيد معنى البراءة من الشرك ومن كل دين يخالفه ، وإخلاص العبادة لله،فالإسلام هو إسلام الوجه لله وحده ، والأخذ بشرائعه وحده فالإسلام يأخذ معانى الطهارة والخلوص أو الإخلاص والبراءة من كل شرك .

---

(١) لسان العرب – مادة : مسلم .

(٢) الإسلام عقيدة وشريعة - د محمود شلتوت صـ٧ .

فمن معانى البراءة والخلوص مما يشوب الدين ، قوله تعالى عن إبراهيم – عليه السلام– ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (الأنعام :٧٨) .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ (الزخرف:٢٦) .

﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ (التوبة :١١٤) .

ومما يدل على أن البراءة هى صفة الإسلام وأنه يبرأ من كل شرك أو شوب قوله تعالى ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (الأنعام) والإسلام يتبرأ من كل ملة من وضع البشر .

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾ (آل عمران :٦٧) والحنيفية هى البراءة والطهارة والخلوص من كل شرك ، هى باختصار : إسلام الوجه لله، وإفراده بالإخلاص فى العبودية .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (النساء :١٢٥) ، ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (يونس :١٠٥) .

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ (البينة :٥) . ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ (الزمر) .

ووصى به إبراهيم ويعقوب أبناءهما إذْ قالا لهم :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ (البقرة :١٣٢) ولم يرتض الله غير الإسلام ديناً .

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (آل عمران :١٩) . ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (آل عمران :٨٥) .

فالإسلام هو الدين الذى يبرأ من كل شرك ويخلص من كل شوب ، فهو الخضوع التام والإنقياد الكامل لله والأخذ بشرائعه التى فرضها على الناس .

وكانت دعوة الأنبياء منذ نوح عليه السلام وحتى خاتم الرسل ﷺ هى دعوة إلى الإسلام لله .

فعلى لسان نوح يقول القرآن ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (يونس :٧٢) .

وعلى لسان إبراهيم ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (البقرة: ١٣١) .

وعلى لسان يوسف ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (يوسف :١٠١) .

وعلى لسان موسى ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ (يونس :٨٤) .

وعلى لسان سليمان ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ (النمل :٣١) .

وعلى لسان عيسى ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران :٥٢) .

وعلى لسان النبى ﷺ ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (الأنعام) .

ما هى العلاقة بين الشرائع السابقة واللاحقة عليها ؟

ما هى العلاقة بين الشريعة السابقة وبين الشريعة اللاحقة ؟

هل هى علاقة تناقض أو اختلاف ؟ أم هى علاقة توافق وتكامل وتتام؟

إذا ثبت أن العلاقة بين الشريعة السابقة وبين الشريعة اللاحقة هى علاقة تناقض أو اختلاف ، عندئذ يثبت النسخ ويصح .

وإذا ثبت أن العلاقة هى علاقة ائتلاف وتوافق وتكامل وتتام ، عندئذ لا يثبت النسخ ولا تصح دعوى قائليها .

فهل الشرائع السابقة مخالفة لشريعة الإسلام ؟

يقول تعالى ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ (النساء) .

يقول الشوكانى [والمعنى : أن أمر محمد ﷺ كأمر من تقدمه من الأنبياء فما لكم (أيها اليهود) تطلبون منه مالم يطلبه أحد من المعاصرين للرسل .

والوحى : إعلام فى خفاء ... وخص نوحاً لكونه أول نبى شرعت على لسانه الشرائع... والكاف فى قوله (كما) نعت مصدر محذوف ، أى إيحاء مثل إيحائنا إلى نوح][1] .

والوحى فى الآية ، ليس المقصود منه ، المثلية فى عملية الإيحاء فقط ، ولكنه المثلية فى مضمون الوحى كذلك ، مثل إفراد الله بالعبودية والأخذ بشرائعه . لأن عملية الوحى ذاتها بدون مضمون للوحى ، هى عملية فارغة ليس منها فائدة ، وإنما كان الوحى وحياً بشريعة ، فيكون المقصود : إنا أوحينا إليك شريعة مثل ما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ، شريعة تتفق مع ما أوحيناه للأنبياء من قبلك .

---

(١) فتح القدير - الشوكانى - حـ١ - صـ ٥٣٨ .

والذى يؤكد أن شرائع الله التى أوحى بها إلى الأنبياء من قبل محمد ﷺ هى شرائع ينبغى على الرسول أن يأخذ بها ، هو ما ذكره الله فى سورة الأنعام . فبعد أن ذكر الله أسماء كثير من الأنبياء وهدايته لهم وذريتهم قال سبحانه : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (الأنعام) .

فهذا دليل على وحدة الكتاب الذى أنزله الله على أنبيائه .

ودليل آخر على أن ما جاء به محمد ﷺهو ما أنزله الله فى التوراة والإنجيل ، حيث يقول تعالى ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾(المائدة : ٦٨) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (المائدة: ٦٨) عام فيما أنزله الله من قبل التوراة والإنجيل ، ومن بعدهما أيضاً وهو القرآن . وهذا يدل على التكامل والإتفاق بين الشرائع .

يقول الله تعالى ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ (الشورى :١٣) .

وهذه الآية تؤكد ما فهمناه من الآيات السابقة بسورة (النساء : ١٦٣ – ١٦٥) ، وهو أن الوحى كان بشرائع متفقة مع ما جاء به محمد ، وأنه يوافقها ولا يخالفها أو يناقضها .

ولم يقل الله (مثل ما وصى به نوحاً) ، ولكنه قال (ما وصى به نوحاً) لأن شريعة نوح ليست الشريعة التامة الكاملة ، ولكنها شريعة كانت فى بدايات التشريع .

أى أن (ما وصى به نوحا) كله يُؤخذ ضمن الشريعة اللاحقة عليها ، فإذا كان الإسلام هو آخر الشرائع ، فيكون الإسلام هو الشريعة التامة الكاملة التى استوعبت الشرائع السابقة التى أُنزلت على نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء والرسل .

إذاً ، العلاقة بين الشرائع السابقة وبين الشرائع اللاحقة ، هى علاقة تكامل وتوافق ، وليست علاقة إختلاف وتناقض ، وبالتالى فلا صحة للقول بنسخ الشرائع اللاحقة للشرائع السابقة .

قال ﷺ (مثلى ومثل الأنبياء من قبلى ، كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلاَّ وُضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين) .

يقول الدكتور البوطى ، فى فقه السيرة [أما دعوته ﷺ وعلاقتها بدعوات الأنبياء السابقين ، فقائمة على أساس التأكيد والتتميم ، كما يدل عليه الحديث المذكور] صـ ٣٧ .

ويقول الشيخ محمد الخضرى [إمتاز التشريع المكى بما يُعبِّر عنه أبو اسحاق الشاطبى فى (الموافقات) بالتشريع الكلى . وإنما سماه كذلك لأنه لم يتعرض فيه إلى تشريع أحكام جزئية خاصة بحال دون حال ، أو نوع دون نوع ، وكله من الشرائع الأبدية التى لايخالف فيها دين ديناً ، ومن مصلحة العالم أجمع – فيما مضى وفيما هو آت – أن يكون متبِعاً لها ، منقاداً لما جاء فيها ، ولذلك أطلق على ملته ﷺ فى القرآن فى سورة الحج ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ (الحج : ٧٨) وأعلن أنه جاء مصدقاً لمن سبقه من الأنبياء ، ... وقال له الله عنهم فى سورة الأنعام ، بعد أن قص عليه أسماءهم : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام : ٩٠) [(١)] .

فالشرائع التى شرعها الله لعباده منذ تاريخ الإنسانية هى شرائع أبدية خالدة ، لا تخالف منها شريعةٌ ، شريعةً أخرى ، وهى صالحة للبشر فى كل زمان ومكان .

---

(١) محاضرات تاريخ ـ الدولة الأموية صـ ١٠٧ ـ ١٠٨ .

يقول دكتور موريس بوكاى [أما القرآن – وقد أتى بعد المسيح بقرون ستة – فإنه يتناول معطيات عديدة جاءت فى التوراة العبرية والأناجيل ، ولذلك فهو يذكر التوراة والإنجيل كثيراً] (١).

والتوراة تحكى لنا جانباً مما يتفق مع الشريعة الإسلامية ، فتقول لنوح ـ عليه السلام ـ بعد الطوفان [وبارك الله نوحا وبنيه وقال لهم : أثمروا وأكثُروا واملأوا الأرض ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض وكل طيور السماء مع كل ما يدب على الأرض وكل أسماك البحر قد دفعت إلى أيديكم كل دابة حية تكون لكم طعاماً كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع غير أن لحما بحياته دمه لا تأكلوه وأطلب أنا دمكم لأنفسكم فقط . من يد كل حيوان أطلبه . ومن يد الإنسان أطلب نفس الإنسان . من يد الإنسان أخيه سافكُ دم الإنسان يُسفك دمه] الأصحاح التاسع .

فالتوراة تقول (غير أن لحماً بحياته دمه لا تأكلوه) .

والقرآن يقول ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ ﴾ (البقرة :١٧٣) .

والتوراة تقول (ومن يد الإنسان أطلب نفس الإنسان . من يد الإنسان أخيه سافك دم الإنسان يُسفك دمه) .

والقرآن يقول ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾ (البقرة:١٧٨).

ويقول تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ (الأنعام :١٥١) .

وأما فى الإنجيل ، فإن عيسى ـ عليه السلام ـ يقول : (ما جئت لأنقض الناموس بل لأكمله) .

فالمسيح يقر ويعترف لبنى إسرائيل ولغيرهم ، بأنه لم يأت لينقض الشرائع التى قبله ، بل لإحيائها والأخذ والعمل بها وإكمالها .

وحدة الدين

تُبرز سورة الشورى حقيقة ضل فيها الناس بغياً وعدوانا ، فذهب فريق إلى إنكارها ، وذهب فريق آخر إلى الإيمان بها لبعض الرسل دون بعض . وتلك الحقيقة هى : أن الدين الذى أوحى الله به إلى محمد هو الدين الذى أوحى به إلى نوح وإلى إبراهيم وموسى

---

(١) دراسة الأديان فى ضوء المعارف الحديثة – صـ ٦ .

وعيسى ، ووصاهم بإقامته ودعوة الناس إليه وعدم التفرقة فيه ، وقامت فيه حجة كل رسول على قومه ، ولكن الناس كبر عليهم ـ حقداً وحسداً ـ أن يؤمنوا بتلك الحقيقة المتحدة ، فأنكروها أو فرقوها ، وزعموا أن الأديان تتعدد بتعدد الرسل ، وأن لكل دين أصولاً وأتباعاً ، وأخذوا ـ باسم الدين ـ يتحاربون ويتسافكون والدين منهم برئ ، والله من ورائهم محيط ، فدين الله واحد ، وإنكاره من أحد الأنبياء إنكار له من جميعهم] [1] .

وقد عرض القرآن الكريم ، كثيراً من الآيات التى تقرر الوحدة الدينية وتقرر الإيمان بكل الرسل الذين أرسلهم الله ، والإيمان بالكتب التى أرسلوا بها ، يقول تعالى ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾(الشورى: ١٣) يقول الشوكانى [الخطاب فى قوله (شرع لكم من الدين) لأمة محمد ﷺ أى بيَّن وأوضح لكم من الدين (ما وصى به نوحاً) من التوحيد ودين الإسلام وأصول الشرائع التى لم يختلف فيها الرسل ، وتوافقت عليها الكتب (والذى أوحينا إليك) من القرآن وشرائع الإسلام والبراءة من الشرك ...(وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) مما تطابقت عليه الشرائع . ثم بيَّن ما وصى به هؤلاء فقال (أن أقيموا الدين) أى توحيد الله والإيمان به وطاعة رسله وقبول شرائعه ... قال مقاتل : يعنى أنه شرع لكم ولمن قبلكم من الأنبياء ديناً واحداً ...(ولا تتفرقوا فيه) أى لا تختلفوا فى التوحيد والإيمان بالله وطاعة رسله وقبول شرائعه ، فإن هذه الأمور قد تطابقت عليها الشرائع وتوافقت فيها الأديان ، فلا ينبغى الخلاف فى مثلها] [2] .

ثم يقول تعالى ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ (الشورى :١٤) أى : ما تفرقوا إلا عن علم بأن الفرقة ضلالة .

ثم يقول تعالى للرسول ﷺ بعد أن أخبره بأن ما أوحى إليه هو ما أوحى به إلى الرسل من قبله ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ﴾(الشورى : ١٥) .

---

(١) الإعلام فى القرآن د. محمد عبد القادر حاتم ـ صـ ٢٤٤ - ٤٥ .

(٢) فتح القدير - الشوكانى - جـ٤ صـ ٥٣٠ .

أى ، فلأجل أنه شرع لكم من الدين ما شرع للأنبياء والرسل من قبلك (فلذلك فادع) إلى هذه الشرائع ، (واستقم كما أمرت) على هذه الشرائع التى أقرها الكتاب (ولا تتبع أهوائهم) فى تفرقهم فى الكتاب ، وإيمانهم ببعض الكتاب وكفرهم ببعض (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) دليل على أن الكتاب واحد منذ أن بدأ التنزيل ينزل إلى الناس . فكلمة كتاب هنا كلمة مجردة وعامة تسرى على كل ما أنزله الله من كتاب على الأنبياء والرسل ويقول الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة) .

ويقول الله تعالى﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (البقرة :٢٨٥) .

فالمسلمون يؤمنون بما أُنزل إليهم على محمد ، كما أنهم يؤمنون بما أنزل من قبل على الرسل والأنبياء السابقين ، ولا يفرقون بين الرسل ولا بين كتبهم ، فكلها من عند الله ما دامت سالمة من التحريف .

والله – سبحانه – يطلب من أهل الكتاب ومن غيرهم أن يؤمنوا بما أُنزل على محمد ، لأنه لا يخالف ما أُنزل على أنبيائهم ، بل إنه يوافقها ويصدق بها فيقول تعالى ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۝ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ۝ ﴾ (البقرة) .

ويقول لهم ولغيرهم ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة :١٣٦) .

وذلك لأن الكتاب الذى أنزله الله على جميع الأنبياء والرسل هو كتاب واحد ، فلا تفريق بين رسول ورسول ، أو بين رسالة ورسالة ، فالدين واحد ، لأن الكتاب الذى أنزله الله على رسله واحد ، مُنزَّل من إله واحد هو إله الجميع .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ (البقرة :١٧٦) .

فالكتاب الذى أُنزل على جميع الرسل هوكتاب واحد ، لذلك فإن الذين يختلفون فيه ، إنما هم فى ضلال وفى شقاق مبين . فالدين واحد ، وما جاء به القرآن هو ما جاءت به التوراة وهو ما جاء به الإنجيل ، لذلك يقول تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ (المائدة :٨٦) .

فإذا أقيمت التوراة والإنجيل بالحق ، وبدون تحريف أو تبديل ، فإنهما يوافقان القرآن ، ويوافقان كل كتاب أنزله الله من عنده

[فالإيمان بالإنجيل والتوراة يستدعى الإيمان بالقرآن ومحمد عليه الصلاة والسلام ، ولذلك أمر الله رسوله أن يكتفى من دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام بمجرد مطالبتهم بتطبيق ما فى التوراة والإنجيل الذى يدَّعون الإيمان به] (١) .

وعندما هاجر الرسول إلى المدينة [كتب ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار وَادَعَ فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم ، وشرط لهم واشترط عليهم ، ومن هذه الشروط : يهود بنى عوف ، أُمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم] (٢) .

وقد وفد إلى رسول الله ﷺ أول وفد من خارج مكة لفهم شئ عن الإسلام ، وكانوا بضعة وثلاثين رجلا من نصارى الحبشة ، جاءوا مع جعفر بن أبى طالب لدى عودته إلى مكة ، فلما جلسوا إلى رسول الله ﷺ واطَّلعوا على صفاته وأحواله وسمعوا ما تلى عليهم من القرآن آمنوا كلهم ... فنزل فى حقهم قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۝ ﴾ (القصص) .

---

(١) فقه السيرة د . البوطى - صـ ١٠٤ .

(٢) السابق صـ ١٥٩ .

فأهل الكتاب لما سمعوا القرآن آمنوا به وأقروا بأنهم كانوا من قبله مسلمين وأنه يصدق الكتب التى من قبله .

ويقول الله عن أهل الكتاب المؤمنين حقاً ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾(البقرة :١٢١) فالذين يتلون التوراة والإنجيل حق التلاوة، ولا يحرفونها ولا يبدلونها ، إنما هم مؤمنون بالقرآن ويخشعون له .

يقول تعالى ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (آل عمران : ١٩٩) .

ولما هاجر المسلمون إلى الحبشة أرادت قريش أن تعيدهم إليها ، فاختاروا من بينهم من يذهب إلى النجاشى ليطلبوا منه إعادة المسلمين إلى مكة فأرسلت قريش إلى النجاشى [عبد الله بن أبى ربيعة ، وعمرو بن العاص (ولم يكن قد أسلم بعد) بهدايا مختلفة كثيرة إليه وإلى حاشيته وبطارقته رجاء أن يرفض قبول هؤلاء المسلمين فى جواره ويسلمهم مرة أخرى إلى أعدائهم . فلما كَلَّما النجاشى فى ذلك ، رفض النجاشى أن يسلم أحدا من المسلمين إليهما حتى يكلمهم فى شأن دينهم الجديد هذا ، فجئ بهم إليه ورسولا قريش عنده ، فقال لهم : ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به فى دينى ولا فى دين أحد من الملل ؟ فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب ، فقال : أيها الملك : كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميته ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ونُسئ الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم ، ونهانا عن الفواحش ... فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فَعدَا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، ورغبنا فى جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك .

فسأله النجاشى أن يتلوا عليه شيئاً مما جاءهم به الرسول ﷺ من عند الله . فقرأ عليه جعفر صدراً من سورة مريم . فبكى النجاشى حتى أخضلت لحيته ، ثم قال لهم : إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة](1) .

فالنجاشى من أهل الكتاب ، ولما سمع ما يدعو إليه الدين الإسلامى من أخلاق سامية ومتوافقة مع ما جاء به الإنجيل ، صدَّق وآمن بوحدة المبعث الذى انبعث عنه القرآن وهو الله .

وهذا يؤكد على أن الأنبياء كلهم إنما جاءوا بدين واحد ، ولم يختلفوا فيما بينهم ،وذلك لأنهم مرسلون من قبل إله واحد هو الله .

التفريق فى الدين

طلب القرآن من الناس أن يؤمنوا بجميع الرسل كما طالبهم أن يؤمنوا بما أنزل عليهم جميعاً ، وجعل الإيمان ببعض دون البعض خروجاً عن دين الله ، وانحرافاً عن هديه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (الأنعام :١٥٩) .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ ﴾ (النساء) .

ويذكر القرآن التفريق والإختلاف فى الدين عند أهل الكتاب بأنه جهل ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (البقرة :١١٣) .

---

(١) السابق صـ ٩٩ .

إن التفريق فى الكتاب ناتج عن الضلال فى الفكر ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ (البقرة :١٧٦) .

والتفريق فى الكتاب يؤدى إلى الفرقة وإلى الإختلاف ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ (يونس :١٩) لذلك فإن الله أرسل رسوله وأنزل عليه الكتاب ليبين لهم الذى اختلفوا فيه ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ (النحل: ٦٤) .

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (النمل :٧٦) .

والله يدعونا أن لا نكون من المختلفين فى الكتاب مثل أهل الكتاب ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ (آل عمران : ١٠٥) .

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ﴾ (الروم :٣٢) .

وإذا كان أهل الكتاب آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض ، فإن المسلمين إذا آمنوا بنسخ بعض الآيات وبطلانها ، فإنهم يقتربون من أهل الكتاب فى تفريقهم فى الدين ويكونون أمثالهم .

فبعض المسلمين يفرقون فى الدين ويجعلونه ناسخاً ومنسوخاً ، كما أنهم يقسمون الدين إلى عقيدة وشريعة ، فى حين أن الدين هو كلٌّ لا يتجزأ ولا يتبعض ، فمن المسلمين من يقول :

[إن بعثه كل رسول تتضمن عقيدة وتشريعاً فأما العقيدة : فعمله (الرسول) بالنسبة لها ليس سوى تأكيد لنفس العقيدة التى بُعث بها الرسل السابقون دون أى اختلاف أو تغيير وأما التشريع ، فإن شريعة كل رسول ناسخة للشريعة السابقة إلا ما أيده التشريع المتأخر ، أو سكت عنه ، وذلك على مذهب من يقول : شريعة من قبلنا شريعة لنا إذا لم يرد ما يخالفها .

ويتضح مما سبق أنه لا توجد أديان سماوية متعددة ، وإنما توجد شرائع سماوية متعددة نسخ اللاحق منها السابق] [1] .

فالدكتور البوطى هنا يُفرق فى الدين ويجعله شريعة وعقيدة ، ويقول بأن العقيدة السماوية واحدة ثابتة لاتتغير ، فى حين تتغير الشرائع ، ويقول فى موضع آخر : [إن الدين الحق واحد ، لم يتعدد منذ خُلق آدم - ﷺ - إلى بعثه نبينا ﷺ ... نعم ، هناك شرائع سماوية متعددة وكل شريعة سماوية ناسخة للشريعة التى قبلها ، ولكن ينبغى أن لا نخلط بين الدين الذى يطلق أو ما يطلق على العقيدة ، وبين الشريعة التى تطلق على الأحكام السلوكية المتعلقة بالعبادات والمعاملات] [2] .

فبعد أن يعترف الدكتور البوطى بأن الدين الحق واحد ، يعود فيقول أن الشريعة اللاحقة تنسخ الشريعة السابقة . أليس الدين هو كلٌّ واحد جامع لكل ما أمر به الله من توحيده وإفراده بالعبودية ، ثم تأسيساً على هذه العقيدة تؤخذ شرائعه ؟

إن تقسيم الدين إلى عقيدة وشريعة ، وتقسيم الشريعة إلى أحكام وعبادات ومعاملات ... إلخ ، إنما ذلك من وضع البشر وليس من وضع الله .

ويقول الدكتور الدكتور البوطى فى موضع آخر [بعث (الله) موسى ـ ﷺ ـ مثلاً ، إلى بنى إسرائيل وكان الشأن يقضى بالنسبة لحال بنى إسرائيل إذّ ذاك – أن تكون شريعتهم شديدة قائمة فى مجموعها على أساس العزائم لا الرخص . ولما مرت الأزمنة ، وبُعث فيهم سيدنا عيسى - ﷺ - كان يحمل إليهم شريعة أسهل وأيسر مما كان قد بُعث به موسى من قبل ، وانظر فى هذا إلى قول الله تعالى على لسان عيسى - ﷺ - وهو يخاطب بنى إسرائيل : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ (آل عمران :٥٠) فقد بيَّن لهم فيما يتعلق بأمور العقيدة ، بأنه مصدق لما جاء فى التوراة ، ومؤكد له ومجدد للدعوة إليه . أما بالنسبة للتشريع وأحكام الحلال والحرام ، فقد

---

(١) السابق صـ ٣٨ .

(٢) السابق صـ ١٠٥ .

كُلِّف ببعض التغيرات وإيجاد بعض التسهيلات ونسخ بعض ما كانوا يعانون من الشدة فى الأحكام] [1].

وهنا نجد أن الدكتور البوطى قسم التوراة إلى عقيدة وشريعة ، وأثبت العقيدة ونسخ الشريعة . فى حين أن الآية تقول (ومصدق لما بين يدى من التوراة) ، من التوراة ككل وليس مصدقاً للعقيدة فقط .

كما أن تحليل بعض الذى حُرِّم عليهم لا يعنى إلغاء ما هو موجود من الشريعة كما أن هذا التحليل ليس نسخاً ، وإذا علمنا أن التحريم كان من عند نبىُّ الله إسرائيل نفسه ، إذ يقول تعالى ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (آل عمران :٩٣) .

فالتحريم لم يكن بأمر من الله ، بل حرمه نبى الله إسرائيل على نفسه وذلك من قبل أن تُنزل التوراة ، أى أن الله لم يُنزل هذا التحريم فى كتاب ، وبالتالى فإن الله لم ينسخ أمراً أو حكماً له . والمسيح نفسه يقول فى الإنجيل (ما جئت لأنقض الناموس ولكن لأكمله) .

ويقول الدكتور البوطى : [ثم من المفروض أن يكون للتطور الزمنى ولاختلاف الأمم والأقوام أثر فى تطور التشريع واختلافه ، بسبب أن أصل فكرة التشريع قائم على أساس ما تقتضيه مصالح العباد فى دنياهم وآخرتهم ، هذا إلى أن بعثة كل نبى من الأنبياء السابقين كانت خاصة بأمة معينة ، ولم تكن عامة للناس كلهم ، فكانت الأحكام التشريعية محصورة فى إطار ضيق حسبما تقتضيه حال تلك الأمة بخصوصها] [2].

وقد قلت من قبل أنه ليس هناك اختلاف أو تناقض بين الشرائع ، ولكن كان هناك إتمام وتكميل . كما أن ما تقتضيه مصالح العباد من تشريع لا ينفى ما كان صالحاً من قبل. وكل التشريع الذى شرعه الله لعباده هو صالح لكل زمان ومكّان ، لأن المشرع واحد هو الله ،وإلا لو صفنا الله بعدم الحكمة والتخبط أو التردد فى الآراء . فخصوص الرسالة لأمة

---

(١) السابق صـ ٣٧ – ٣٨ .

(٢) السابق صـ ٣٧ .

من الأمم ، لا ينفى ولا يبطل الشريعة المشرعة من قِبلِ الله ، والتى كان يعمل بها الناس . كما أن أجيال الأمم متلاحقة ومستمرة ومترابطة ، فإذا كان فى هذه الأجيال شريعة شرعها الله ، فإنه لا ينسخها بشريعة أخرى لاحقة ، ولكن يكمل الشريعة السابقة ويتممها بالشريعة اللاحقة ، وهذا كما قال المسيح (ما جئت لأنقض الناموس ولكن لأكمله) . وكما قال ﷺ (مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زواية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون ، هَلاَّ وُضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) .

ويقول الدكتور البوطى فى موضع آخر ، بعد أن أورد قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ...) ، ويقول [إنه لا يتصور أن تختلف دعوات الأنبياء الصادقين فى شأن العقيدة ، لأن أمور العقيدة من نوع الإخبار ، والإخبار عن شئ لا يمكن أن تختلف ما بين مخبر وآخر إذا فرضنا الصدق فى خبر كل منهما ، فمن غير المعقول أن يُبعث أحد الأنبياء ليبلغ الناس أن الله ثالث ثلاثة (سبحانه عما يقولون) ثم يُبعث من بعده نبى آخر ليبلغهم بأن الله واحد لا شريك له ، ويكون كل منهما صادقا فيما بلغ عن الله تعالى .

هذا عن العقيدة ، أما التشريع ... فقد كان يختلف فى الكيف والكم ما بين بعثه نبى وآخر ... وسبب ذلك أن التشريع من نوع الإنشاء لا الإخبار ، فلا يرد فيه ما أوردناه على اختلاف العقيدة] [1] .

ونقول أنه كما لا يُتصور أن تختلف دعوات الأنبياء فى شأن العقيدة ، فإنه لا يُتصور أن تختلف دعواتهم فى الشريعة أيضاً ، وإلا كان المشرع الأحد - سبحانه - متناقضاً فى تشريعاته . وإن كان كذلك - سبحانه - فإن ذلك يهدم خاتمية الإسلام للأديان ، فما دام المشرع يتناقض فى تشريعاته ، وينسخ كل حين الشريعة السابقة ، فإنه كان من المحتمل أن يأتى زمن يلغى فيه الله الشريعة الإسلامية بشريعة أخرى ، وهكذا ...

أما القول بأن العقيدة من نوع الإخبار ، فى حين أن التشريع من نوع الإنشاء ، فإن هذا التقسيم ناشئ من تصورات النفس الإنسانية وأهوائها وضلالها .

---

(١) المصدر السابق .

وأما القول بأن التشريع كان يختلف فى الكيف والكم ، فإننا نقول أنه لم يختلف فى الكيف وإلا تناقض المشرع مع نفسه ، وإن كان اختلف فى الكم فهذا معناه تتميم وإكمال الشريعة السابقة وليس نقضها أو إبطالها .

وفى كتابه (الإسلام دعوة عالمية) يقول فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود : [الدعوة الإسلامية عالمية ، ونسخت لما قبلها من الدعوات ، لأن كل دعوة قبلها جاءت لتعالج ناحية من نواحى حياة الإنسان ، فجاءت الموسوية لعلاج الوثنية وتحويل الناس إلى توحيد الله . وجاءت العيسوية وقد أصبح الناس ما دين ولا شىء يقدسونه إ لا المادة ، فاهتمت ديانة عيسى بالناحية الروحية والأخلاق ، وغرست فى نفوس أتباعها مزيدا من التسامح والوداعة والرحمة . ثم جاءت المحمدية وقد استوت البشرية على حال تحتم عليها أن تسير فى طريق يؤدى إلى دين متكامل الجوانب يعالج مشكلات الحياة كلها ويرسم لها الحل السماوى السوى الذى لا حل سواه . ولذلك كانت الدعوة جديرة أن تلغى ما سبقها من الدعوات إلغاء تفصيلياً ، مع الإعتراف بها من ناحية الإجمال . ودليل نسخها لغيرها من الشرائع كان فى أنها لم تكتف بعلاج ناحية واحدة أو أكثر فى حياة الإنسان ، وإنما عالجت كل حالات الإنسان] [1] .

من النظرات الخاطئة : القول بأن كل شريعة جاءت لتعالج ناحية من النواحى الموجودة فى حياة الإنسان ، وإنما الشريعة جاءت لتعالج جميع النواحى الموجودة ، مع زيادة فى التشريع للتطور والإرتقاء بالجنس البشرى ، وكان ختام هذا التطور والإرتقاء بالشريعة الإسلامية . فإن كان المقصود بالإلغاء التفصيلى هو الشريعة ، والإلغاء الإجمالى هو العقيدة ، فإن الدعوة الإسلامية لم تلغ ما سبقها من الدعوات ، لا إلغاءً تفصيليا ولا إجمالياً .

لأن [العقيدة فى الوضع الإسلامى ، هى الأصل الذى تبنى عليه الشريعة ، والشريعة أثر تستتبعه العقيدة ، ومن ثم فلا وجود للشريعة فى الإسلام إلا بوجود العقيدة ، كما لا اذدهار للشريعة إلا فى ظل العقيدة ، ذلك أن الشريعة بدون العقيدة علوٌّ لا أساس له .

---

(١) عن كتاب الإعلام فى القرآن د . محمد عبد القادر حاتم صـ ١٣٨ .

فالإسلام يُحتم تعانق الشريعة والعقيدة ... على أن تكون العقيدة أصلا يدفع إلى الشريعة ، والشريعة تلبية لا نفعال القلب بالعقيدة] [1] .

وكما يقول د. مصطفى محمود [الدين فى حقيقته دين واحد ... وقد نزلت شرائع هذا الدين الواحد على مراحل ... إنها مراحل ... فى كل مرحلة يبعث الله نبيها المناسب ، ويُنزل من الشرائع ما يلائم تطور النفس فى تلك المرحلة . فإذا ارتقت الإنسانية وتقدمت وتخطت تلك المرحلة بعث الله بالرسول الذى يُكمل الناموس ليواكب التقدم الروحى] [2].

وقبل أن ننتقل من هذا العنوان إلى عنوان آخر ، نريد أن نؤكد على عدة نقاط :

١ ـ إن الله نهى عن التفرق فى الدين بواسطة التفريق بين الرسل والكتب ، واعتبر التفريق فى الدين بين الرسل وبين الكتب من الكفر ، فقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴾ (النساء) .

٢ ـ إن الله طالب المؤمنين بعدم التفريق بين الرسل وبين الكتب فقال : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ (البقرة :٢٨٥) .

٣ ـ الإيمان بالرسل ليس إيماناً بأشخاصهم ، ولكنه إيمان بشرائعهم .

٤ ـ الإيمان بالكتب هو إيمان بكتاب واحد كان الله ينزله منذ أن بدأ يُشرع لخلقه ، وكان يأخذ فى كل مرحلة من مراحل التشريع إسماً مثل الزبور والتوراة والإنجيل ، إلى أن تم تنزيل الكتاب كله على الرسول فتمت به الشريعة واكتمل به الدين .

٥ ـ عدم إيمان أهل الديانات السابقة بالديانة اللاحقة هو من الكفر وإيمان أهل الديانة اللاحقة بما يحتويه كتابهم من شرائع الديانات السابقة هو من الإيمان بالله وكتبه ورسله .

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة . د . محمود شلتوت صـ ١١ .

(٢) القرآن د . مصطفى محمود صـ ١٤٦ – ٤٧ .

٦ ـ تقسيم الدين إلى عقيدة وشريعة ، والإدعاء بواحدية العقيدة وثبوتها والإدعاء باختلاف الشرائع ونقضها ونسخها وإبطالها ، قول خاطىء لا يتفق مع تعاليم الكتاب .

تدرج البناء التشريعى

البناء التشريعى قائم على التدرج والإرتقاء – سواء فى حياة الأمة الواحدة على الخصوص ، أو فى حياة الإنسانية كلها على العموم .

ففى حياة الأمة الإسلامية ، لم تنزل الشرائع والأحكام جملة واحدة على الأمة ، وطالبها الله بتنفيذها ، بل نزل التشريع متدرجاً آخذا بيد الأمة من تشريع إلى آخر ومن حكم إلى آخر .

وكذلك فى حياة الإنسانية عموما ، لم ينزل الله شريعته التامة الكاملة التى ارتضاها لعباده جملة واحدة ، بل تدرج - سبحانه - مع الأمم آخذاً بيدها من تشريع إلى آخر ، حتى تم الدين واكتمل بالرسالة الخاتمة ، رسالة محمد خاتم النبيين والمرسلين .

وإذا انظرنا إلى حركة البناء التشريعى منذ أن خلق الله الإنسان ، نجد أن الله قد تدرج بالتشريع منذ آدم وحتى خاتم النبيين ﷺ وكان الله – سبحانه – يراعى فى التشريع مقاصد الشريعة حسب أهميتها فى كل مرحلة ، بما يحقق بقاء النوع والحفاظ عليه ، فكان أول تشريع شُرع لآدم – عليه السلام – هو توحيد الله وإفراده بالعبودية وعدم الشرك به . فلما أنجب آدم أولاداً ، شرع الله لهم الإحسان إلى الوالدين ، فقال تعالى : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء – ٢٣] . فلما كثر النسل ، وبدأ الإنسان يقتل أخاه الإنسان ، شرع الله لهم تحريم قتل النفس .

وفى شريعة آدم - عليه السلام - لم يُحرم الله الزواج من الأخوات ، وسكت الله عن هذا الأمر لضرورة ، وهى تكاثر النسل وانتشارهم .

وبعد الطوفان ، تقول التوراة [وبارك الله نوحا وبنيه وقال لهم : أثمروا واكثروا واملأوا الأرض ولتكن خشيتكم ورهبتكم عن كل حيوانات الأرض وكل طيور السماء مع كل ما يدب على الأرض وكل أسماك البحر قد دفعت إلى أيديكم . كل دابة حية تكون لكم طعاماً كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع غير أن لحما بحياته دمه لا تأكلوه وأطلب أنادمكم لأنفسكم فقط . من يد كل حيوان أطلبه . ومن يد الإنسان أطلب نفس

الإنسان من يد الإنسان أخيه سافك دم الإنسان يسفك دمه] [الإصحاح التاسع] . فالله - سبحانه - أمر نوح وبنيه بأن يكثروا وينتشروا فى الأرض ، ولأنه يريد بقاء النوع الإنسانى، وكذلك بقاء باقى الأنواع من الحيوانات والطيور والنباتات ، فإن الله قد امرهم بالخشية والرهبة على كل هذه الأنواع ، فلا يسرف الإنسان فى قتل هذه الأنواع حتى لا تنقرض ، وكذلك فإن الله قد أحل لهم جميع الأنواع كالعشب الأخضر ، وذلك حتى يتم التوزيع الإستهلاكى على جميع الأنواع بما يضمن بقاء النوع وعدم إنقراضه ، هذا من ناحية التحليل .

أما من ناحية التحريم ، فإن الله قد أمرهم بذبح البهيمة والتخلص من دمها ، وهذا هو تزكيتها . والتخلص من دم البهيمة لا يضر الإنسان فى شىء بل أنه ينفعه . كما أمرهم بعدم قتل النفس ، وهو أمر شرعى فى كل دين وكل أمة .

أما تحريم زواج الأخوات ، فإنه يقال أن نوحا كان أول من حرَّم زواج الأخوات ، وذلك بعد الطوفان وبعد انتشار النسل .

أما تحريم الجمع بين الأختين ، فكانت فى شريعة موسى ، ولم يكن الجمع بين الأختين محرماً فى شريعة يعقوب . فلما جاء عيسى - ﷺ - صدق بشريعة موسى وأقرها ، وقال : (ما جئت لأنقض الناموس ولكن لأكمله) .

فلما جاء الإسلام بالدين الخاتم ، وأتم الله شرائعه ، ضمَّن كتابه – القرآن الكريم – ما شرعه من الشرائع السابقة ، وأتم الدين وأكمله ، وقال : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة : ٣) .

وهكذا فإن التشريع قائم على التدرج ، وقائم على الإكمال ، وليس على النقض . فخاتمية الرسالة المحمدية هى إكمال للشرائع السابقة وإتمام للدين وليس لنسخ الشرائع السابقة ونقضها .

خطورة دعوى النسخ

الإسلام دين عالمى ، هو دين لكل الناس ، وهو دين لكل زمان ومكان والخطاب فى القرآن موجه لعموم الناس فى كل زمان وكان . وقد يظن البعض أن نداء الله للمؤمنين بصيغة (يا أيها الذين آمنوا) هو نداء للمؤمنين المعاصرين للرسول ﷺ فقط ، أو أنه نداء

للذين آمنوا من المسلمين فقط ، بل هو نداء لجميع الذين آمنوا بالله وبوحدانيته فى كل زمان ومكان ، فالخطاب القرآنى ، خطاب عالمى ، لا يختص بجنس دون جنس ، ولا يختص بعصر دون عصر ، ولا يختص بأهل الدين دون غيرهم ، إلا إذا خُصص الخطاب بالنداء على قوم معينين .

يقول تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سبأ : ٢٨) .

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف : ١٥٨) .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء : ١٠٧) .

فالإسلام هو دين جميع الشعوب والأمم والأجيال . هو دين الأمة التى بُعث فيها محمد ، وهو دين الأمم التى بُعث فيها الأنبياء والمرسلون السابقون ، وهو دين الأمم الناشئة .

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (آل عمران : ١٩) .

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (آل عمران : ٨٥) .

وإذا كانت الرسالات السابقة على الإسلام ، هى رسالات قومية ، تخص كل قوم ، فهذه الخصوصية ناشئة من عدم تمام الدين واكتماله فى الشرائع السابقة ، ولو كان هناك دين تام كامل قبل الإسلام ، لكان هذا الدين تأهل ليكون دعوة عالمية ، نظراً لاكتماله واستيفائه لجميع الشرائع التى تصلح للإنسانية .

وحيث أن هذا التأهل لم يكن إلا للقرآن الكريم ، لذا فقد أوجب الله له أن يكون دينا عالمياً .

وحيث أن الدين قد كمل وتم بالقرآن ، فقد استوجب أن يكون خاتم الكتب ، مُنزَّلاً على خاتم الرسل .

وقد تبين لنا - فيما سبق - أن التشريع قائم على التدرج ، والشرائع السابقة هى شرائع باقية عاملة غير عاطلة ، إذْ أن تعطيلها أو نقضها هو تعطيل ونقض للدين ، لأن الشرائع السابقة – على صحتها – هى شرائع إسلامية ، فإذا كانت كذلك ، فلا يصح نقضها .

والقرآن الكريم هو الوعاء الحاوى لهذه الشرائع السابقة ، وهو المهيمن عليها والشاهد بصحتها ، أما من ناحية أنه الحاوى للشرائع السابقة فتصديقاً لقوله ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ (الشورى : ١٣) فجميع ما شرعه الله للأنبياء والمرسلين السابقين محفوظ فى القرآن .

وأما من ناحية أن القرآن هو الكتاب المصدِّق والمهيمن على كتب الرسالات السابقة فتصديقاً لقوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ (المائدة :٤٨) .

فكلمة (الكتاب) الأولى المقصود بها القرآن الكريم ، لأن الله يقول (وأنزلنا إليك الكتاب) فهو الكتاب المعهود لنا ، وهو القرآن . وكلمة (الكتاب) الثانية المقصود بها الكتب السماوية السابقة ، مثل التوراة والإنجيل والزبور .

وقوله تعالى (مصدقاً لما بين يديه من الكتاب) تعنى أن القرآن يحتوى بين دفتيه الكتب السابقة ، فإذا احتواها بين يديه ، فمعنى ذلك أنه مقر بها ومصدق بها .

وإذا رجعنا إلى الآيات التى تسبق الآية (المائدة :٤٨) نجد أن هذه الآيات تتحدث عن التوراة والإنجيل والحكم بهما بين أهل الكتاب ، ثم أجمع الله هذه الكتب فى القرآن الكريم فى الآية (المائدة : ٤٨) .

فإذا كان الكتاب - القرآن الكريم - يحتوى على الشرائع وعلى الكتب السابقة ، وأصبحت تكتسب الصفة القرآنية ، فإن نقض الشرائع السابقة لا يكون نقضاً لذاتها فى كتبها السابقة ، بل هو نقض كامل لشريعة الإسلام ذاتها فى كتابها : القرآن الكريم .

أى أن دعوى النسخ ، لا تؤدى إلى نسخ الشرائع السابقة ذاتها فقط ، بل إنها تؤدى إلى نسخ شريعة الإسلام نفسها ، وهذه هى خطورة دعوى النسخ على شريعة الإسلام والشرائع السابقة . لأننا وجدنا أن البناء التشريعى قائم على التدرج ، وأن هذا التدرج يقصد به التدرج فى البناء ، وأن كل شريعة لاحقة هى نفس الشريعة السابقة مع الإضافة التى يريد الله أن يضيفها من أجل تطور وإرتقاء البناء التشريعى . وأن الإسلام هو الدين الذى ارتضاه الله لعباده منذ بدء الخليقة ، فكانت كل الشرائع وكل الكتب إسلامية . أما القول بأن هذه يهودية وتلك نصرانية ، فإن هذا من تحريف الدين والتفرق فيه .

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (آل عمران : ٦٧) .

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (آل عمران : ١٩) .

فدعوى النسخ تؤدى إلى نقض وإبطال الشرائع السابقة ، كما أنها تؤدى إلى نقض وإبطال شريعة الإسلام نفسها ، وهو الدين الذى ارتضاه الله لعباده منذ بدء الخليقة وحتى قيام الساعة .

وبالتالى فإن دعوى النسخ تؤدى إلى هدم البناء التشريعى كله الذى أقامه الله منذ بدء الخليقة وحتى خاتم النبيين والمرسلين .

كما أن دعوى النسخ هى طعن فى علم الله وحكمته وإحاطته ، فالإله الذى ينسخ شريعته كل حين هو إله غير عليم وغير حكيم وغير محيط بعباده .

كذلك فإن دعوى النسخ تؤدى إلى عدم الترابط والتواصل بين الشرائع وبعضها ، مما يؤدى إلى عدم إعتراف كل أمة بالأخرى ، بالإضافة إلى ما تجره هذه الدعوى من انقطاع التواصل والترابط بين الأمم عن طريق المعاهدات والمواثيق .

دعوى النسخ تؤدى إلى هدم خاتمية الرسالة ، فما دامت الرسالة الأخيرة نسخت الرسالات التى قبلها ، فما المانع من أن تُنسخ هذه الرسالة الأخيرة برسالة أخرى .

وإذا كانت الرسالة الخاتمة نسخت ما بين يديها من شريعة ، فلا بد من انتظار رسالة أخرى تنزل بشريعة جديدة ... وهكذا بلا انقطاع فلا يكون هناك خاتمية لرسالة .

ودعوى النسخ تؤدى إلى هدم (عالمية الإسلامية) . إذْ أن عالمية الإسلام هى جمعه للشرائع السابقة .

عالمية الإسلام هى صلاحيتة لكل الأمم .

عالمية الإسلام ، لأنه هو الدين الذى بشريعته يتم التواصل والترابط بين الأمم بأرشد النظم وأهدى القوانين .

وما دام القرآن يحتوى على الشرائع السابقة ، وهذه الشرائع صالحة لكل زمان ومكان ، صالحة فى الماضى والحاضر والمستقبل ، فإن نسخها يؤدى إلى هدم عالميته وشموليته

والخلاصة

دعوى النسخ هدم لدين الله ونقض لشرائعه .

obeikandl.com